ملخص كتاب: إبراز المعاني بالأداء القرآني

تأليف: أ.د. ابراهيم الدوسري

جنى المعرفة:

مبادرة هادفة لإثراء المحتوى الرقمي بمنتج ثقافي قيّم، يسهم بزيادة مستوى الوعي والمعرفة عن طريق تقديم الكتب الثقافية من خلال محتوى مرئي ومسموع لكي تكون عناقيد المعرفة بين يديك.



يكتسب هذا البحث أهميته من ارتباطه الوثيق بالقرآن، وتناوله جانباً مهماً وحيوياً في تلاوته، إذ يُعنى بمرتبة الإحسان الجامعة بين المهارة في أداء الحروف والغوص في معانيها والتبحر في مقاصدها. فهدف البحث هو بيان الأداء الصحيح للقرآن ومقوماته وخصائصه، وأثر الأداء في التعبير عن المعاني، وكيفية تصويرها وإبرازها في التلاوة، وذلك من خلال التعرف على غايات الأداء وظواهره.

إن حسن الأداء وسيلة فاعلة في الجانب الدعوي، وقد كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم أعظم المؤثرات في إيصال علمه وهدايته إلى العالمين.

قسّم المؤلف بحثه إلى مقدمة وتمهيد وبابين، ويحتوي كل باب على ثلاثة فصول، ثم خاتمة.

في الباب الأول: تحدث المؤلف عن مفهوم أداء القرآن ومقوماته وخصائصه: حيث ذكر في **الفصل الأول**: **مفهوم أداء القرآن**. وبيّن أن أصل الأداء في اللغة هو الإيصال، ولفظة الأداء يعني بها القُرّاء تأدية القراءة بالنقل عمّن قبلهم، وهي ترتكز على أركان ثلاث: المنقول والناقل والمنقول إليه.

١- المنقول:

وهو القرآن، وما يتصل به من وجوه اختلاف القراءات المتواترة وما يلحق بها حكماً كمراتب المدود، أو من قبيل الأداء كالتفريق حال التلاوة بين النفي والإثبات، والأصوات صعوداً وهبوطاً، وتجويد التلاوة أو المهارة في إخراج الحروف وتوفية صفاتها. وأكثر صيغ الأداء وهيئاتها لا تُعرف حق المعرفة بالقول والصفة، بل يوقف عليها بالرواية والمشاهدة والمشافهة.

٢- الناقل:

لقد اصطلح العلماء على إطلاق "أهل الأداء" على أئمة نقل القرآن وقراءته و ذوي الرواية والدراية في التلاوة، والرواية هي ما نُقِل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه وأئمة القراء من بعدهم بأسانيدهم المتصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم: والنقلة يتفاوتون في درجاتهم علماً ودرايةً وحفظاً

وأداءً، كما يتفاوتون في التحمل والأخذ عن المشايخ. ومهمة النقلة أهل الأداء تعليم الأجيال القرآن وحسن أدائه على الوجه الصحيح لفظاً ومعنىً ليُغري بالإنصات إليه وامتثال توجيهاته والتخلق بآدابه والعمل بهداياته، فذلك "الإيصال".

٣- المنقول إليه:

وهو المؤدَّى إليه، ويشمل الاستماعُ الإنس والجن ويصعد إلى الملأ الأعلى، فقد وقع لغير واحد من الصحابة تنزُّل الملائكة لاستماع قراءتهم.

ثم ينتقل المؤلف في **الفصل الثاني** للحديث عن: **مقومات أداء القرآن**، وهي أربعة:

١- المقومات الإيمانية: وأقوى عواملها الاستحضار القلبي لمصدر القرآن واستحضار المشاهد الأخروية وأجر تالي القرآن، فذلك أدعى لتعانق المعاني والألفاظ وتجاوب القلب مع اللسان والآذان.

٢- المقومات النفسية: تأدية القرآن بتدبر ووقار ورغبة ورهبة يحصل بها تأثر المستمع، وهذا المقصود من التلاوة.

٣- المقومات المعرفية: معرفة مخارج الحروف وصفاتها، ومراعاة أحكامها، والدراية باختلاف أحوالها وصلاً ووقفاً وابتداءً مع فهم المعاني والدراية بأغراضها، فلا يُظهر السرور عند آيات الخشوع والانكسار، ولا يرفع صوته عند آيات الخضوع. وتكمل المقومات المعرفية إذا استطاع القارئ تأدية الألفاظ المتغايرة في المعاني في مساحة ضيقة دون أن يخرج عن طبعه، فينتقل بينها بلطف وشفافية بلا نشاز في الأصوات أو تنافر في اللفظ. ولكل معنى صوته الذي يستحقه، ويضبط ذلك بالمشافهة ورياضة التلاوة. ومن أهم العلوم التي تساعد القارئ على حسن الأداء: علوم اللغة العربية والفقه بأحكام القرآن وعلم التفسير.

٤– المقومات الصوتية: إن من أهم المقومات التي تستدعي الاستماع والإنصات للقارئ هي موافقة الكيفيات الصوتية قواعد التجويد ومعاني الألفاظ ومشاعر الوجدان. والتغني بالقرآن بما تسمح به طبيعة الإنسان من غير تصنّع جائزممدوح محمود، أما الألحان المصنوعة والإيقاعات الموسيقية التي لا تحصل إلا بالتعمل والتمرين وبنسب صوتية لا تتم إلا بها فذلك لا يجوز، وما ينادي به بعض الكتّاب من تلحين القرآن بزعم تصوير المعاني وضبط الأنغام فجرأة على كتاب الله تعالى ذكره وتقدّس اسمه.

بعد ذلك ينتقل المؤلف إلى **الفصل الثالث**، وذكر فيه: **خصائص أداء القرآن**، وهي أربع:

١– التعبد: إن خصيصة التعبد سمة يمتاز بها القرآن في مبانيه ومعانيه، لجلالة المتكلم به تعالى ذكره، ولذلك يتأكد في حق تاليه الركنان الأساسيان لقبول العمل، وهما: أن تكون التلاوة وفق الصفة المتلقاة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن تكون خالصة لله تعالى.

٢–الإعجاز: القرآن العظيم منطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة، وذلك أن لغته بلغت المنتهى لفظاً ومعنى.

٣– التجويد: تجويد القراءة هو إعطاء الحروف حقوقها بإخراجها من مخارجها وتوفيتها صفاتها، والتسوية بين نظائرها، من غير إفراط ولا تفريط.

٤– التدبر والتذكر: التدبر هو الحضور العقلي، والتذكر هو الحضور القلبي، وهو أحد آثار التدبر.

بعد ذلك ينتقل المؤلف إلى **الباب الثاني** وفيه ذكرٌ: **لغايات الأداء القرآني وظواهره وتطبيقاته**:

ففي **الفصل الأول** ذكر المؤلف: **غايات الأداء**:

والمقصود بغايات الأداء ما اشتملت عليه آيات القرآن من المعاني والمقاصد، وتندرج تحتها ثلاثة معان رئيسة هي: الدلالات التصويرية، والإثارة الوجدانية، والروعة الجمالية.

١- الدلالات التصويرية: إن مقتضى الأداء السليم هو تصوُّر معاني الآيات في النبرات الصوتية بمراتبها الثلاث: المعتادة، والمرتفعة، والمنخفضة، والإشارات الأدائية من الإشمام والروم والوقف والابتداء والمد، والتخليص أو فك الحروف وهو استيفاء الحركات والحروف والكلمات حقوقها مخرجاً وصفةً، وتحرير نطقها وتمييز مقاطعها، وذلك كله من البيان، ولذا أدخله بعض العلماء في تعريف التفسير. والمقصود بالتفسير هنا هو البيان والتفسير الأدائي، لا شرح الآيات وبيان المراد منها.

٢- الإثارة الوجدانية: إثارة الكوامن الوجدانية بما يليق بكتاب الله تعالى غاية مطلوبة ومحمودة. ولقد حوى القرآن معاني الهيبة والإجلال والتعظيم والاستبشار والتخويف والتهييج والتشويق والاسترحام والاستعطاف والحث والتحريض والتودد والترجي والتلطف والتعجب والاستنكار والتوبيخ والتندم والتلهف والعزة والإباء وغير ذلك مما يصعب حصره، وليس من فقه الأداء أن تُتلى تلك المعاني جميعاً على نمط واحد، فلكل آية وسورة موضوع ولكل موضوع ما يناسبه.

٣- الروعة الجمالية: وتقتضي من القارئ أن ينتقل بين الحروف بلطف، ويشير إلى المعاني بشفافية ويتدرج في الدرجات الصوتية برفق، ليُلبس التلاوة أجمل حللها. وليحذر القارئ من التكلف والتعسف وما يُنقل من الزعيق والجهر الصاعق، ومن كل ما يشوه الأداء القرآني.

وفي **الفصل الثاني**: ذكر المؤلف وفقه الله **ظواهر الأداء**:

وتشمل ظواهر الأداء مراتب التلاوة وأساليبها، وأصول الأداء وتعدد القراءات، والوقف والابتداء.

١- **مراتب التلاوة وأساليبها** : هي أطر الأداء وأنماطه، وقد ذكر لها العلماء أنواعاً كثيرة، ولكل نوع معاييره التي يجب مراعاتها. وأنواع التلاوة لا تخرج من حيث التمهل والإسراع عن ثلاثة وجوه، وهي التحقيق والتدوير والحدر. وجميع مراتب التلاوة لها حظها من المعاني، غير أن الترتيل بها أسعد.

٢- **أصول الأداء وتعدد القراءات**: إن تنوع القراءات مكثر للمعاني، وذلك من وجوه إعجاز القرآن. فالقراءات القرآنية وأصول الأداء – التي عليها مدار أحكام القراءة- روافد غنية بالمعاني الدلالية والجمالية والوجدانية، ومن أصول الأداء المدود التي في تنوعها واختلاف مقاديرها جمال عجيب الشأن في تصوير المعاني وإيضاح دلالاتها، وللإمالة مع تسهيلها للألفاظ أثرها المعنوي، ولا تسأل عن الهمز وتعدد صيغه الأدائية من تحقيق وتسهيل ونقل وإبدال، وسكت على الساكن قبله، وجمالية الخفة في الإدغام، ودلالات الروم والإشمام، وجزالة التفخيم في حروف الاستعلاء، ومواضع تغليظ اللام من اسم الجلالة (الله) تعالى وتقدّس. فهذه وأمثالها من وجوه الأداء تضفي ألواناً صوتية متناسقة تبلغ في النفس والوجدان ما لا يبلغه كلامٌ آخر خالٍ من مثل هذا النسيج المتفرّد.

٣- **الوقف والابتداء**: ظاهرة الوقف والابتداء من الإعجاز القرآني، وقد حظي الوقف والابتداء بعناية فائقة من العلماء لأهميته في إيضاح المعاني وتمييزها، ومعرفة مقاصد القرآن، وإلهاب الفكر في تدبر القرآن، وإثارة المعاني التشويقية، وإبراز الصورة الجمالية، وإظهار إعجاز القرآن. وأجمل صور الوقف ومحسنات الأداء تلك التي تكون على رؤوس الآي، وهو سنة مأثورة، وله مقاصد عدة، أما ربط الوقف بالأجزاء والأحزاب والأعشار ونحوها في الأداء فمجانب للصواب، والمعبّر في ذلك مراعاة المعاني.

أما **الفصل الأخير** من هذا البحث فهو دراسة تطبيقية على سورة الفاتحة بيّن فيها المؤلف كيفية إبراز المعاني حال الأداء، واختار سورة الفاتحة لحاجة كل مسلم إلى تعلّمها، وطلباً للاختصار، حيث يحصل بها المقصود، ويتحقق بها المراد، مما يغني ذوي الأفهام عن التطبيق على سائر سور القرآن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

